

السرديات في النقد الفرنسي: جهود تودوروف وجينات
**Narratology in French Criticism: The Contributions of
 Todorov and Genette**

سحنين علي*

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر (الجزائر)

ali.sahnine@univ-saida.dz

تاريخ النشر: 2025/06/30	تاريخ القبول: 2025/05/25	تاريخ الإرسال: 2025/05/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن تعرف بالجهود التأسيسية للسرديات في نسختها البنيوية في النقد الفرنسي مسلطة الضوء على إسهامات ناقلين بارزين ومؤثرين فاعلين في حقل الدراسات النقدية والسردية في النقد الغربي عموما وفي امتداد تأثيرهما في الساحة النقدية العربية والمغاربية على وجه الخصوص. فإذا كان تودوروف أول من أطلق مصطلح السرديات عام 1969 ليدلّ على العلم ولأول مرة في كتابه "نحو الديكاميرون" Grammaire de Décaméron الذي سعى من خلاله إلى محاولة بلورة نظرية عامة للمحكي وإيجاد نمذجة شاملة لدراسة النصوص السردية مستندا في ذلك إلى فكرة النحو العالمي، جاعلا من القواعد النحوية قواعد للسرد؛ فإن جينات قد عمل على توسيع دائرة هذا الاهتمام مستلهما نظرية شاملة لدراسة خطاب المحكي انطلاقا من ثلاث مقولات مكونة لسردياته والتي استنبطها من رواية البحث عن الزمن الضائع لمارسيل بروسست.

كلمات مفتاحية:

النقد الفرنسي؛ السرديات؛ خطاب المحكي؛ تودوروف؛ جينات.

Abstract:

This study seeks to introduce the foundational efforts of structuralist narratology within the framework of French literary criticism, with particular emphasis on the contributions of two prominent and influential figures in the field of narrative and critical studies, figures whose work has significantly shaped Western criticism and exerted notable influence on Arab and Maghrebi literary discourse. Tzvetan Todorov was the first to coin the term narratology in 1969 to refer to the science of narrative, as he articulated in his seminal work *Grammaire du Décaméron* (The Grammar of the Decameron). In this work, Todorov attempted to formulate a general theory of narrative by constructing a comprehensive model for analyzing narrative texts, grounded in the concept of universal grammar. He thus positioned grammatical rules as a framework for narrative structures.

Genette, building upon this foundation, expanded the scope of narratological inquiry by developing a comprehensive theory of narrative discourse. His approach was structured around three central categories that underpin his narratology, categories he derived from Marcel Proust's novel *In Search of Lost Time*. Through this framework, Genette proposed a systematic methodology for analyzing narrative discourse, significantly advancing the field.

Keywords:

French criticism; narratology; narrative discourse; Todorov; Genette.

1. مقدمة:

لم تتأسس السرديات Narratologie - في البداية - كونها تخصصاً علمياً يتوخى أصحابه علمنة دراسة النصوص السردية ويتقصّدون الكشف عن بنيات الخطاب السردية وآلياته ومكوناته والعلاقات التي تنتظمه فقط، بقدر ما كانت الحاجة إليها وليدة خصائص معرفية

وأزمة في النّسق النّقديّ الذي هيمن ردحا من الزّمن على طرائق تحليل النّصوص الأدبيّة والسّرديّة بشكل خاص.

وجد ذلك صداه فيما تضمّنه العدد الثّامن من مجلّة نواصل "Communications"¹ الفرنسيّة الذي خصّص لتحليل الخطاب السّرديّ، ووصف مكوّناته وأنظّمته وبنياته الدّاخلية. فقد أعطى ذلك دفعة قويّة "للسّرديات" وأعلن عن تشكّل مناخ فكريّ ونقديّ جديد، ونماذج وتصنيفات دقيقة شديدة الصّلة والارتباط باللّسانيات وبأبحاث الشّكلانيّين الرّوس وبالبنويّة التي تخلّقت السّرديات من صلبها وامتحت من نسغها في مراحل تشكّلها ونشأتها الأولى.

يجد القارئ في هذا العدد بعض الدّراسات الرّائدة التي تعدّ مرجعيّات تأسيسيّة في حقل السّرديات، فقد أكّد "رولان بارت" Roland Barthes على أنّ اللّسانيات لا يمكن لها أن تتجاوز في دراستها حدود الجملة إلّا لدراسة جمل أخرى مكّونة للخطاب الذي سيكون بالضرورة موضوعا لدراستها. وقد توصل إلى أنّ اللّسانيات تقدّم للتّحليل البنيويّ للمحكي تصوّرا حاسما يتمثّل في مستوى الوصف. فالجملة في اللّسانيات يمكن أن توصف من مستويات (صوتي، تركيب، نحوي، سياقي) وهذه المستويات ترتبط فيما بينها وفق علاقة تراتبية منتظمة بحيث لا يمكن لأيّ منها أن ينتج المعنى بمفرده². بمعنى أنّ هذه المستويات يحكمها نظام محدّد يفترض أن تشغل مجتمعة في إطاره وتحقّق المعنى من خلاله.

على الرّغم من أنّ هذه الدّراسة ما فتئت تلهم الباحثين والدّارسين في حقل السّرديات وتسهم في التّأسيس لها، إلّا أنّ "بارت" قد تجاوز هذا الطّرح وتراجع عنه في كتابه (s/z) عام 1970، الذي تناول فيه تحليلا لقصّة (ساراسين Sarrasine) لبلازك Balzac، وفيه وجّه انتقادات شديدة للسّرديات البنيويّة بدعوى أنّ التّحليل البنيويّ يعمل على إخضاع النّصوص السّردية إلى نموذج واحد ونهائيّ، ثابت وقار، ولا يمنح إلّا نموذجا ضيقا لا يمكن من استيعاب الإمكانات التي تفيض بها النّصوص الأدبيّة، ودون الوعي بهويّتها واختلافاتها ولانهائيّتها³ التي تستعصي على أيّ ضبط أو إدراك أو تحديد.

وفي هذا النطاق تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بجهد استثنائي في التأسيس للسرديات في النقد الفرنسي، ويتعلق الأمر بجهد علمين بارزين هما: تودوروف وجينات.

2. جهود تودوروف:

انطلق "تذفتان تودوروف" في تمييزه بين "القصة" *Histoire* و"الخطاب" *Discours* في مقاله "مقولات المحكي الأدبي" *Les catégories du récit littéraire* من التمييز الذي أقامه "توماشفسكي" *Tomashevsky* بين المتن الحكائي *Fable* والمبنى الحكائي *Sujet*، مؤكداً أنّ لكل عمل أدبيّ أو سرديّ -في مستواه العام- مظهرين متلاحمين ومتعاضدين، في آن واحد، هما: القصة والخطاب⁴ تفضي دراسة العلاقة بينهما إلى إجلاء مكونات النصوص الأدبية، وتحديد مستوياتها السردية والبنوية.

يرى "تودوروف" أنّ القصة *Histoire* تعني مجموع الأحداث والوقائع في تسلسلها وترابطها وفي علاقاتها بالشخصيات، وأنّها يمكن أن تنقل بواسطة أشكال متنوعة كالشريط السينمائي مثلاً، كما يمكن لهذه القصة أن تكون مكتوبة أو شفوية. أما الخطاب *Discours* فيتجلّى -حسب رأيه- من خلال الدور الذي ينهض به السارد *Narrateur* في تقديم القصة. ويرى -أيضاً- أنّ ما يهم في هذا المستوى ليس القصة في حد ذاتها، وإنّما الطريقة التي يطلعنا بها السارد على تلك الأحداث⁵ السردية، وهو الأمر الذي حظي باهتمام رواد السرديات، وأسّس لما بات يعرف بالصيغة السردية *Mode narrative*.

في ذات الصدد يميّز أيضاً بين السرد بوصفه قصة والسرد بوصفه خطاباً، ففي الأوّل يتمّ التمييز بين مستويين: مستوى منطق الأحداث ومستوى الشخصيات وعلاقاتها بعضها ببعض. أمّا في الثاني فقد قسّم طرائق دراسة الخطاب إلى ثلاثة أقسام هي: زمن المحكي الذي يعنى فيه بضبط العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب، أمّا في مظاهر المحكي فيكون الاهتمام بالطريقة أو الكيفية التي تدرك بها القصة من طرف السارد، وأمّا صيغ المحكي فتتربط بالبحث في نوعية الخطاب المستعمل من طرف السارد في نقل القصة⁶ وتعبيره عن أحداثها وصياغتها.

أفاد "تودوروف" في ذلك من منجزات التحليل اللساني للخطاب وبالضبط من مقترحات "إيميل بنفنيست" التي فصلت فصلا حاسما بين القصة والخطاب⁷، وكذلك التفاته صوب البلاغة الكلاسيكية التي راعت الفصل بين المظهرين أيضا، حيث ارتبطت القصة بالإبداع والدلالة، وارتبط الخطاب بالإنشاء والتركيب.

من هذا المنطلق يكون جديرا بالذكر أن ينوّه الدّارس بجهود "تودوروف" ودراساته في ميدان التفكير الأدبي والنقدي بصفة عامّة، وفي مقارنة المحكي الأدبي بصفة خاصّة، حيث قدّم تصوّرات عميقة ورؤى نقدية فاعلة حازت على مكانة متميّزة ضمن الدّراسات التّأسيّسية للسّرديات وأسهمت في توسيع أفقها ومجالاتها لا سيّما وأنّه يعود إليه الفضل في اجتراف مصطلح السّرديات (Narratologie) عام 1969 ليدلّ على العلم⁸ ولأوّل مرّة في كتابه "نحو الديكاميرون" Grammaire de Décaméron الذي سعى من خلاله إلى محاولة بلورة نظرية عامّة للمحكي وإيجاد نمذجة شاملة لدراسة التّصوص السّردية مستندا في ذلك إلى فكرة النّحو العالمي، ومستفيدا من الإمكانيات التي يتيحها التّموذج اللّغويّ، وذلك عن طريق استعارة المصطلحات والقواعد العامّة التي تحكم النّظام اللّغويّ جاعلا من القواعد النّحويّة قواعد للسّرد.

عمل "تودوروف" -من أجل استقصاء البنيات المجرّدة للخطاب السّرديّ لقصص "جيوفاي بوكاشيو" Giovanni Boccaccio (مئة قصّة)⁹ - على إقامة تقابل أو تناظر بين نحو اللّغة وبنيات المحكي على أساس أنّ هناك إمكانية لتأسيس نحو للمحكي du Récit في مقابلة نحو اللّغة Grammaire du Language؛ "حيث نجد أن المستوى الدلالي تقابله بنية المضمون السردى، أما المستوى اللفظي فيتعلق باللغة التي [تسرد] بها الحكايات، أما المستوى التركيبي فيتناول العلاقة القائمة بين الأحداث"¹⁰ السّردية في مستوى الخطاب.

إذا ما أريد إضاءة جانب آخر من جوانب الفكر السّرديّ لدى "تودوروف" كان لزاما الإشارة إلى تلك الجهود التي بذلها رفقة "جوليا كريستيفا" Julia Kristeva في نقل أفكار النّاقّد

الرّوسّي "ميخائيل باختين" Mikhail Bakhtine (1895-1975) إلى اللّغة الفرنسيّة، وإسهامه في تقديم مفاهيمه وطروحاته المركزيّة عن الحواريّة (Dialogisme)، وتعدّد الأصوات (Polyphonie) والتلفّظ (Enonciation)، خاصّة في كتابيه: "ميخائيل باختين: المبدأ الحواريّ" Mikhail Bakhtine، le principe dialogique¹¹، و"نقد النّقد" Critique de la critique¹²، اللّذين يمكن موضعتهما في إطار التحوّل الذي طرأ على النّظرية النّقدية لديه، فما نهض به "تودوروف" وعمل على التّفكير فيه في هذين الكتّابين يجلو بكثير من الوضوح النّقاط المشتركة بينهما، ويبرز بعض ملامح التّحاور والتّفاعل التي حاول -من خلالها- "تودوروف" التّفاد إلى أعماق فكر باختين واستكشاف عوالمه وأسراره، وبذلك يبدو واضحاً أهميّة المرجعيّة الباختيّنيّة ليس فقط في تأثيرها المباشر على آراء "تودوروف" النّقدية، وإنّما إلّقاؤها بتأثيراتها الواسعة على الفكر العالميّ برمّته. لذلك فلا غرابة أن يكون "باختين" -حسب رأي "تودوروف" نفسه- أهمّ منظري الأدب في القرن العشرين¹²، ذلك لما لقيته أبحاثه من ترحاب كبير في الأوساط النّقدية، كونه كان سبّاقاً إلى بلورة مفاهيم وطروحات مغايرة عن الأدب والرّواية بصفة خاصّة. خلال القرن العشرين، إضافة إلى "توفر أطروحاته ومنهجيّته على عناصر حيوية صالحة لأن تخصب البحث والتحليل في مجال نظرية الرّواية"¹³ بصفة عامّة، والسّرديّات بشكل خاصّ.

يطرح "تودوروف" في مقدّمة كتابه "المبدأ الحواريّ" أهمّ مرتكزات نظرية باختين الحواريّة مشيراً إلى أنّ موضوعها يقع بين موقفين أساسيين، هما: التّلفّظ Enonciation وسياق Contexte de Enonciation¹⁴. من هذا المنطلق فالرّواية من منظور "باختين" تنوّع كلاميّ ولغويّ واجتماعيّ منظّم فنيّاً ومتعدّد الأصوات، فهي بهذا قائمة على نظام حواريّ وإنّ بنسب مختلفة¹⁵. بمعنى آخر أنّ أهمّ مظهر من مظاهر التّلفّظ عند باختين هو حواريّته، أي ذلك البعد التّناسيّي فيه، ذلك لأنّ كلّ خطاب -في نظره- عن قصد أو غير قصد، يقيم حوارات مع الخطابات السّابقة عنه، والخطابات التي ستأتي بعده، أو التي سيّتنبأ بها¹⁶. بل وأكثر من ذلك فالرّواية عند "باختين" تتحدّد بوصفها جزءاً من ثقافة المجتمع، فالثقافة مثل الرّواية

مكوّنة من خطابات تعيها الذاكرة الجماعية، ويبقى الدور على كلّ واحد في المجتمع أن يحدّد موقعه وموقفه من تلك الخطابات. وهذا ما يفسر حوارية الثقافة وحوارية الرواية القائمة على تعدّد الأصوات والملفوظات وتنوّع اللّغات والعلامات، وبهذا فالحوارية تتشكّل من صلب العلاقات الاجتماعية، ومن خلال استيعاب الرّوائي للمخزون التّراثي، وجميع المظاهر في الحياة، ممّا سيؤدّي حتما إلى تماس الرواية وتقاطعها مع مختلف الأجناس واللّغات والإيديولوجيات¹⁷ الاجتماعية والثقافية، والسياسية.

لا شك أنّ ما بذله "تودوروف" من جهد كبير، في نقل أفكار "باختين" وترجمتها، يبيّن مدى الأهمية الإجرائية للمفاهيم والتّصورات التي شغلها "باختين" لدراسة الخطاب الرّوائي، وتأثيراتها الواضحة واللامحدودة في إثارة العلائق الحوارية بين الأدب والأجناس الأدبية الأخرى¹⁸، ذلك ما تبينّه "باختين"، ووقف عنده في أعمال دوستوفسكي Dostoevski الروائية، موضّحا أنّ أعماله تكشف عن أنماط جديدة من الكتابة، وخصائص جمالية، وظواهر سردية متنوّعة، تنفرد بها هذه الأعمال وتجعلها تتميز عن غيرها من الكتابات الأخرى. وهذه الظواهر الجمالية تتركّز في تعددية الأصوات والأفكار والمواقف ووجّهات النّظر التي تحملها تلك الأصوات وملفوظاتها داخل العالم الرّوائي¹⁹. وهو ما حدا به إلى القول بأنّ "دوستوفسكي هو خالق الرواية متعددة الأصوات Pholyphe لقد أوجد صنفا روائيا جديدا بصورة جوهرية"²⁰. من هذا المنطلق بات هذا الاهتمام يؤسس -فيما بعد- لنظرية التّناس التي أرسى دعائمها "جوليا كريستيفا".

إذا كان إقبال "تودوروف" على التّعريف بأفكار "باختين" وتصوراته عن ظاهرة الحوارية يفسّر مدى إعجابه بفكره وتأثيره به، خصوصا في تحديده لمفهوم النّقد الحواريّ، إذ يرى بأنّ "النقد حوار، ومن صالحه الإقرار بذلك علنا. إنه لقاء صوتين، صوت الكاتب وصوت الناقد، وليس لأي منهما امتياز على الآخر"²¹؛ فإنّ هناك جانبا خفيا في ذلك يبيّن "أنّ عملية إعادة التنظيم والعرض لأطروحات الآخر ليست أكثر من تقنية معرفية-منهجية تختارها الذات الكاتبة (والمترجمة) من منطلق تفهم تلك الأطروحات والإعجاب بصاحبها، والعمل على إعادة

فاعليتها مرة أخرى وكأنها جزء من أطروحات الذات في مرحلة من مراحل تحولها الفكري والمعرفي²². إذ من منطلق هذا التّصوّر، وأيضاً من خلال القراءة النّقديّة والمعرفيّة لفكر "باختين" بوصفها شكلاً من أشكال التّلقّي الحواريّ مع أعماله، تجد "تودوروف" لما يفكر في العمليّة النّقديّة على أنّها حوار، فهو يعدّ النّصّ ميداناً تتعايش فيه كلّ القراءات والمناهج والنّظريّات النّقديّة على اختلافها، بما يجعل هذه المناهج والنّظريّات تتفاعل وتتحوّل وتتقاطع وتفتح على غيرها في سيرورة تجد مسوغاتها في رفض تلك الزّعات النّقديّة الأحاديّة والدّوغمائية المنغلقة، مطوّراً منظوراً جديداً في الدّراسة النّقديّة للأدب يقوم على إستراتيجية أساسها المراجعة المستمرة والدّائمة لنظريّات نقد الأدب²³ بصفة عامّة.

3. جهود جيرار جينات التأسيسية:

إذا كان "تودوروف" سبقاً إلى إطلاق مصطلح "السّرديات" على أنّه العلم الذي يعنى بدراسة خطاب المحكيّ، وأنّه أحد المؤسّسين الفاعلين لهذا العلم؛ فإنّ ما طرأ على حقل السّرديات من تطورات منهجيّة وتصورات علميّة دقيقة سيحقّق على يد "جينات" الذي عدّ "أب السّرديات في العصر الحديث"²⁴ ورائداً حقيقيّاً لها، بالنّظر لما تميّز به طروحاته وتصنيفاته السّردية من شموليّة في الطّرح وعمق في التّحليل حتّى وإن كان ذلك يستهدف بدءاً الخطاب دون المضمون. وقد استحقّ جهده التّوصيفيّ للبنيات الشّكليّة للمحكيّ أن يوصف بالمشروع السّرديّ المتكامل على حدّ تعبير "سعيد يقطين"، فهو من بين الإنجازات التّاريخيّة المهمّة في حقل النّظريّة الأدبيّة والنّقديّة الحديثة.

قدّم "جينات" رسماً لحدود المحكيّ في مقاله الموسوم "بحدود المحكيّ"²⁵ Frontière du Récit المنشور ضمن العدد الثّامن من مجلة "Communications" المذكور سابقاً، حيث مكّنه ذلك من ضبط الأطر التي يشغل ضمنها المحكيّ مهتدياً إلى أنّه يتحدّد من خلال التّعارضات التي يقيمها مع الأشكال اللامحكيّة وصيغها، التي انطلق في حصرها ابتداءً من التّمييز والتّعارض الذي أقامه أرسطو بين Diégésis و Mimésis²⁶. وهو التّمييز الذي سبقه إليه أفلاطون.

أما التّعارض الثاني الذي أشار إليه "جينات" فهو بين السّرد Narration والوصف Description، وهو الأمر الذي لم تتنبّه إليه الشّعريّات القديمة -حسب جينات- مؤكّداً أنّه لا يمكن أن تتصوّر سرداً خالياً من الوصف رغم استقلالية هذا الأخير، وأنّ السّرد لا يستطيع بناء كيانه بدون وصف، ذلك لأنّه من السّهل علينا أن نصف دون أن نحكي، من أن نحكي دون أن نصف، غير أن تبعيّة السّرد لا تمنعه من أداء الدّور الأساس المنوط به دوماً. فالوصف ليس في حقيقة الأمر، سوى خادم ملازم للسّرد، ولا يمكنه أن يتحرّر أبداً من قيوده، فهو خاضع له باستمرار²⁷ ولا يستطيع أن يبرحه.

بهذا يخلص "جينات" إلى أنّ العلاقة بين السّرد والوصف علاقة قائمة على التّضافر والتّعاوض والتّكامل؛ لأنّ الفوارق الفاصلة بينهما لا تعدو أن تكون فوارق متّصلة بالمضمون؛ إذ يقوم السّرد بعرض الأفعال والأحداث مندمجة بالزّمن في مقابل الوصف الذي يعرض الأشياء والشّخصيّات مرتبطة ببعدها المكاني، لذلك يكون في إمكان هذين التّمطين من الخطاب التّمظهر بوصفهما تعبيراً عن موقفين متناقضين، أحدهما أكثر حركة، والثاني أكثر تأملاً. لكنهما من وجهة نظر صيغ العرض يعدّان عمليّتين متشابهتين؛ لأنّ سرد حدث أو وصفه يستخدم وسائل لغويّة واحدة²⁸. كما أنّ الوصف إذا كان يمثّل حدّاً فإنّ هذا الحدّ داخليّ وغير واضح المعالم والملاح. من هذا المنطلق يختلف موقف "جينات" بخصوص العلاقة بين السّرد والوصف، عمّا ذهب إليه كتاب الرّواية الفرنسيّة الجديدة الذين يرون بأنّ بين السّرد والوصف "حرباً بلا هوادة"²⁹. وبغض النّظر عن ذلك كلّ يبقى التّعارض والاختلاف قائماً بينهما، فلا يمكن له أن ينتفي رغم حاجة كلّ منهما إلى الآخر؛ لأنّ قوانين اشتغال السّرد والوصف وأسبابهما، ومسبّباتهما ونتائجهما مختلفة تماماً، وهو ما سيحدّد بوضوح مع الدّراسات اللاحقة.

إذا كان "جينات" -من خلال مقاله حدود المحكي- يعدّ من البنيويّين الأوائل الذين اهتموا إلى بحث العلاقة بين الوصف والسّرد، وممن رفضوا إقامة حدود فاصلة بينهما؛ فإنّه نظّر للوصف لاحقاً من حيث أدواره ووظائفه في الخطاب السّردى³⁰، متفطّناً إلى خصوصيّة

الوصف بنية ووظائف، فعرض له من زاوية مدّة الخطاب السردّي والتّبيير، فجعل وقفة وصفية descriptive Pause المقطع الوصفيّ الذي يكون فيه الرّائيّ الواصف هو السّارد الغائب وغير المشارك في الأحداث، كما عدّ المشهد Scène بأنّه المقطع الذي تكون الدّات الرّائيّة فيه شخصيّة مشاركة في أحداث القصّة. وسعى هذا النّوع من الوصف وصفاً مبرّراً ³¹Description focalisée. لكنّه رغم ذلك «لم يهتم بطرائق إدراج الوصف في السرد ولا باشتغال الوصف الداخلي ولم يتوسع في الحديث عن وظائفه» ³². وخلافاً لذلك شهد الوصف وضعاً مغايراً في الدّراسات السّرديّة المعاصرة، خصوصاً مع أبحاث "فيليب هامون" التي خلصته من قيود التّهميش الذي لحقه وأكسبته استقلاليتّه، بوصفه مكوّناً أساسيّاً من مكوّنات النّصّ السّردّيّ.

ينتهي "جينات" إلى رسم حدّ أخير للمحكّيّ انطلاقاً من التّمييز الذي أعلن عنه "بنفنيست" بين القصّة والخطاب، متناولاً مسألة التّعارض بينهما في إطار علاقتهما بالزّمن؛ إذ توصّل إلى أنّ هذه الاختلافات والتّعارضات ترجع أساساً إلى تعارض بين موضوعيّة القصّة، وذاتيّة الخطاب. فالخطاب يكون ذاتياً عند مثول ضمير المتكلّم (أنا) أو إحالته عليه، غير أنّ هذه الأنا لا تتحدّد، إلّا من حيث كونها الشّخص الذي يتكلّم بطريقة تتماثل مع المضارع الحاضر زمن الصّيغة الخطابيّة. أمّا موضوعيّة القصّة فتتحدّد على العكس من ذلك، من خلال غياب أيّة إحالة -ضمنيّة أو صريحة- على السّارد؛ حيث تعرض الأحداث مسرودة بشكل تلقائيّ تبعاً لظهورها في القصّة ³³. لكنّه إذا كان "جينات" -في حدود المحكي- قد نحا نحو "بنفنيست" في تقسيم المحكيّ إلى خطاب موسوم بذاتيّة المتكلّم وقصّة موسومة بنقل الأحداث مختلفيّة آثار السّارد فيها، فإنّه عدل عن هذا الرّأي في كتابه Figures III أو في discours du récit، مشيراً إلى تعلق القصّة بالخطاب وتواشجها معه إلى حدّ يعدّها شكلاً من أشكاله ³⁴. من هذا المنطلق اهتم جينات -من خلال حصر جلّ عنايته بالخطاب- بدراسة العلاقات بين مكوّنات خطاب المحكيّ الثلاثة، بوصفها كلاً متكاملًا ومتلاحماً، وهي:

-القصة Histoire: وتحيل إلى المادّة الحكائيّة أو الأحداث المسرودة، سواء كانت واقعيّة أم متخيّلة، وبمعنى آخر فهي تطلق على المضمون السّرديّ؛ أي على المدلول.
-المحكّي Récit: ويطلق على النّصّ السّرديّ ذاته وهو الدّالّ، أو الملفوظ السّرديّ، أو الخطاب، ويكون مكتوباً أو شفويّاً أو قائماً على الحركة أو الصّورة، ليعرّف بمضمون المادّة الحكائيّة (القصة).

-السّرد Narration: وهو الطّريقة التي يعتمدها السّارد في تقديم القصة³⁵.

تلتحم هذه المكوّنات وتتواشج فيما بينها، وتربطها صلات وثيقة، حيث تسهم مجتمعة في تشكيل خطاب المحكّي، الذي يؤسّس كيانه عليها؛ إلى درجة أنّه لا يمكن له أن يوجد من دونها، وقد أكّد "جينات" على أنّ "تحليل الخطاب السّرديّ يبنّي أساساً على دراسة العلاقات بين الخطاب والقصة، وبين الخطاب والسّرد (...) [من جهة] وبين القصة والسّرد"³⁶ من جهة أخرى. غير أنّه من بين هذه المكوّنات يكتسي فعل السّرد أهميّة قصوى كونه يعمل على تقديم القصة عبر الخطاب الذي يحملها، ويعرف بمضمونها وبساردها الذي يتلفّظ بها³⁷. لذلك يرى جينات -خلافاً لتودوروف- أنّ المحكّي أو الخطاب³⁸ هو المجال الذي ينبغي أن يعنى بالدراسة والتحليل³⁹*. كون أن القصة والسّرد لا يوجدان إلّا في علاقة مع المحكّي، والأمر نفسه يقال عن المحكّي أو الخطاب السّرديّ الذي لا يتمّ إلّا وهو يسرد قصة وإلّا فلا يمكن أن يكون سردياً. وبهذا فالخطاب سرديّ بسبب العلاقة التي تربطه بالقصة التي يسردها، وأيضاً بسبب تواشجه مع السّرد الذي يقوم بإرساله⁴⁰ وإبلاغه إلى المتلقي.

لما جعل "جينات" وكده الاهتمام بتحليل خطاب المحكّي ودراسة العلاقات بين مكوّناته عمل على بحث ذلك استناداً إلى التّقسيم الذي اقترحه "تودوروف" لمقولات تحليل الخطاب السّرديّ، مع إجراء بعض التعديلات عليها، وهذه المقولات هي: مقولة الزّمن، الصّيغة، والصّوت. فإذا كان الزّمن والصّيغة يشغلان في إطار العلاقة بين القصة والمحكّي، فإنّ الصّوت يتجلّى من خلال العلاقة القائمة بين المحكّي والسّرد، وبين السّرد والقصة من جانب آخر.

نكتفي في هذا الصدد بالإشارة إلى المقولات المركزية التي تتأسس عليها السرديات بوصفها علماً لدراسة الخطاب السردى، وذلك لأنّ المقام لا يسمح ببسطها جميعاً، وهي كالآتي:

السرديات		
الخطاب		
مقولة الصوت vois	مقولة الصيغة mode	مقولة الزمن Temps
1- زمن السرد Temps de la narration	1- المسافة Distance 1-1- محكي الأحداث أو الأفعال: Récit d'événements	1- الترتيب الزميني: Ordre temporel
2- المستويات السردية Niveaux narratifs	2-1- محكي الأقوال: Récit de paroles	1-1 الاستباقات: Prolepses
3- الضمير: Personne	2- المنظور السردى: Perspective 3- التبئير: Focalisations	-2-1 الاسترجاعات: Analepses
4- وظائف السارد Fonction du narrateur		2- المدة الزمنية: Durée temporel 1-2- الوقفة Pause 2-2- الحذف Ellipse 3-2- التلخيص

		Sommaire 4-2-المشهد Scène 3-التواتر الزميني: Fréquence
--	--	---

إنّ هذا التّحديد الحصريّ والمقيّد بالشّكل الثّلاثيّ الذي أعلن عنه "جينات"، قد بدا له تحديداً مبرّراً- رغم الانتقادات التي تعرّض لها- مادام أنّ الخصوصيّة الأساسيّة التي ينفرد بها المحكيّ تكمن في صيغته، لا في محتواه، وهو ما جعل سرديّاته تنحصر "في دراسة السرد وتحليله، وبمعنى أدق دراسة طرائق عرض مضمون المحكي لا المضمون ذاته"⁴¹. كما أنّ ذلك لم يمنعه من الإشارة إلى وجود "نوعين من السّرديات: أحدهما موضوعاتي بالمعنى الواسع (هو تحليل القصّة أو المضامين السّرديّة)، والآخر شكليّ، بل تنميطي [صبغي] (هو تحليل [المحكي بصفته نمطاً؛ أي صيغة] "تمثيل" للقصص، في مقابل الأنماط [الصّبيغ غير السّرديّة]"⁴². لكنّه رغم اعترافه بوجود اتجاهين سرديين، إلّا أنّه بقي وفيّاً لسرديّاته الحصريّة، ولم يأبه بالدّعوات السّاعيّة إلى توسيعها لتضمّ إليها العديد من الأشكال التّعبيريّة الأخرى كالمسرح والسّينما على غرار المحكيّ الشّفاهي والكتابيّ. ذلك ما دأب "جينات" على توكيده في كتبه المتلاحقة رفعا للالتباسات التي أثارها سرديّاته، وتعميقاً لبعض الآراء والتّصوّرات التي اكتنفها الغموض أو التّناقض، وهو ما أعلن عنه بوضوح في Nouveau discours du récit الذي جاء توكيدا لقناعاته الرّاسخة، التي لا تحيد عن الأطر العامّة التي رسمها للسّرديات، على الرّغم من اقتحامه مجالات بحثيّة أخرى قد تبدو مغايرة⁴³* ومقحمة بالنّسبة لكثير من الباحثين والدّارسين المهتمين بسرديّاته.

هوامش البحث:

*: ترجمت بعض مقالات هذا العدد ضمن العدد المزدوج 8-9 من مجلة آفاق المغربية الصادرة عن اتحاد كتاب المغرب سنة 1988. ثم نشر هذا العدد في شكل كتاب بعنوان طرائق تحليل السرد الأدبي، عن منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، المغرب، ط1، 1992.

¹: Voir, Barthes (Roland), introduction à l'analyse structurale des récits, in : communications n° 8, Seuil, Paris, 1966, p. 9,10,11.

²: Voir, Barthes (Roland), S/Z, édition du seuil , Paris, 1970, p. 09.

-نقلا عن الخضراوي (إدريس)، السرديات أو تحولات الوعي بالخطاب الأدبي، مجلة ثقافات، مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات الثقافية، تصدرها كلية الآداب بجامعة البحرين، ع21، يونيو 2008، ص. 113.

³: Voir, (tzvetan) todorov, les catégories du récit littéraire, in : communications n° 8, p. 132.

⁴: Voir, Ibid, p. 132.

⁵: Voir, Ibid, p. 133-153 .

⁶: Voir, Benveniste (Emile), Problèmes de Linguistique générale, éd, Gallimard, 1966, Tome1/ 238.

⁷: Voir, Ducrot (Oswald), Schaeffer (Jean-Marie), Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd, Seuil, Paris, 1995, p. 191 .

⁸: درس تودوروف مئة قصة للكاتب الإيطالي جيوفاني بوكاشيو (1313-1375).

⁹: عيلان (عمر)، في مناهج تحليل الخطاب السردية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2008، ص. 103، 104.

¹⁰: تزفتان (تودوروف)، ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، تر، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996.

¹¹: تزفتان (تودوروف)، نقد النقد، تر، سامي سويدان، مركز الإنماء القومي، ط1، بيروت، لبنان، 1976.

¹²: ينظر، تزفتان (تودوروف)، ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، ص. 15.

¹³: الزهراني (معجب)، نحو التلقي الحوارية، مقاربة لأشكال تلقي كتابات ميخائيل باختين في السياق العربي، مجلة العلوم الإنسانية، دورية محكمة، تصدر عن كلية الآداب، جامعة البحرين، ع3، شتاء 2000، ص. 174.

¹⁴: ينظر، تزفتان (تودوروف)، ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، ص. 16.

¹⁵: ينظر، باختين (ميخائيل)، الكلمة في الرواية، تر، حلاق (يوسف)، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، سوريا، 1988، ص. 11.

¹⁶: ينظر، تزفتان (تودوروف)، ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، ص. 16.

¹⁷: ينظر، باختين (ميخائيل)، الخطاب الروائي، تر، برادة (محمد)، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987، ص. 22.

- ¹⁸: ينظر، الخضراوي (إدريس)، النقد الروائي وإشكالية اللغة الروائية، مجلة العلوم الإنسانية، دورية محكمة، تصدر عن كلية: الآداب جامعة البحرين، ع15، شتاء 2007، ص. 258.
- ¹⁹: باختين (ميخائيل)، شعرية دستوفسكي، تر، جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص. 10. وينظر، الزهراني (معجب)، نحو التلقي الحواري، مقارنة لأشكال تلقي كتابات ميخائيل باختين في السياق العربي، مجلة العلوم الإنسانية، ع3 ص. 148.
- ²⁰: باختين (ميخائيل)، شعرية دستوفسكي، ص. 11.
- ²¹: تزفتان (تودوروف)، نقد النقد، تر، سويدان (سامي)، ص. 148.
- ²²: الزهراني (معجب)، نحو التلقي الحواري، مقارنة لأشكال تلقي كتابات باختين في السياق العربي، مجلة العلوم الإنسانية، ع3، ص. 153، 154.
- ²³: ينظر، الخضراوي (إدريس)، السرديات أو تحولات الوعي بالخطاب الأدبي، مجلة ثقافات، ع21، ص. 112.
- ²⁴: خليل (إبراهيم)، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص. 69.
- ²⁵: نشر جينات هذا المقال لأول مرة ضمن العدد الثامن من مجلة تواصل، ثم أعاد نشره في كتابه Figures II.
- (Genette) Gérard, *Frontières du récit*, in *L'analyse structurale du récit*, communications n° 8, 1966.
- (Genette) Gérard, *Figures II*, éd, Seuil, Paris, 1969.
- لمزيد من الاطلاع بخصوص "حدود المحكي" ينظر العدد الثاني من مجلة "سرديات" Narratologie الفرنسية الصادر في أبريل من سنة 1999.
- *Narratologie N°2, Les frontières du récit*, Publications de la faculté des lettres arts et sciences humaines, université de Nice, Paris, Avril, 1999.
- ²⁶: يتعارض مصطلح Diégésis مع مصطلح mimésis عند أرسطو، ويدل على السرد الخالص الخالي من الحوار الذي يتوَلَّى فيه السارد سرد الأحداث بنفسه والتحدّث بلسان الشخصيات دون الإيهام بأنّ المتكلم غيره. وبذلك فهو يخلو من المحاكاة أو التمثيل المسرحي mimésis، ممّا جعله خارج نطاق اهتماماته. انطلاقاً من هذا التعارض اشتق جينات من مصطلح Diégésis مصطلحاً جديداً أطلق عليه Diégèse ليكون معادلاً للقصة بدءاً في خطاب المحكي، لكنّه يتراجع عن هذا المفهوم الجزئي في *Nouveau discours du récit* ليُجعله يدلّ ليس على القصة تحديداً وإنّما على الكون الحكائي الذي تحدث فيه. ومن أجل دفع الالتباس والخلط عن مصطلحه رفض جينات رفضاً قاطعاً كلّ علاقة تقام لمصطلحه بمصطلح Diégésis الإغريقي، كما فنّد أن يكون ترجمة فرنسية لـ Diégésis كذلك. ويضيف توضيحاً آخر رافق الالتباس الذي اكتنف بعض مصطلحاته التي اشتقها من Diégèse ومنها توكيده على اشتقاقه Diégétique دائماً من Diégèse وليس من Diégésis ردّاً على بعض الاشتقاقات التي تربطه بالمصطلح الإغريقي. في المقابل أدّى امتلاك Diégèse لهذه

الدلالة الازدواجية التي تربطه بالقصة في خطاب المحكي، وتبعده عنها في Nouveau discours du récit إلى التباس دلالاته في النقد المغربي وتفرقها تبعاً لذلك، وقد يحصل أن تقرر دلالاته بالمرجعية الإغريقية التي لا تلتقي مع مصطلح جينات.

²⁷: Voir, (Genette) Gérard, Frontières du Récit, communications n° 8, p. 158-163.

²⁸: Voir, (Genette) Gérard, Op. cit, p. 164.

²⁹: ينظر، العمامي (نجيب)، الوصف في النص السردى بين النظرية والإجراء، دار محمد علي للنشر، صفاقص، تونس، ط1، 2010، ص. 23.

³⁰: Voir, (Genette) Gérard, Figures III, éd, Seuil, Paris, 1972, Cérès éditions, Tunis, 1996. et, Nouveau discours du Récit, éd, Seuil, Paris, 1983.

³¹: ينظر، العمامي (نجيب)، الوصف في النص السردى بين النظرية والإجراء، ص. 23، 24.

³²: العمامي (نجيب)، المصدر نفسه، ص. 24.

³³: Voir, (Genette) Gérard, Frontières du récit, p. 165, 166.

³⁴: ينظر، الخيو (محمد)، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقص، تونس، ط1، 2003، ص. 39. (الهامش).

³⁵: Voir, (Genette) Gérard, Figures III, p. 101.

³⁶: Ibid, p. 104.

³⁷: ينظر، بوشفرة (نادية)، علم السرديات في النقد الفرنسي، (مخطوط)، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السّانية، وهران، 2005، 2006، ص. 68.

³⁸: للإشارة فجينات يستعمل مصطلحي Récit محكي و Discours خطاب مترادفين، في الوقت الذي يجعل مصطلح Histoire للإحالة إلى القصة. (Voir, (Genette) Gérard, Figures III, p. 104).

³⁹: (Genette) Gérard, Ibid, p. 102.

*: يرى جينات أن المحكي Récit خطاب تواصلي ولفظي يفترض وجود سارد ومسروود له، وأن خصوصية السردى تكمن في صيغته وليس في محتواه، الذي يمكن أن ينسجم مع مختلف الأشكال التعبيرية الدرامية والفنية التي تأخذ طابعا سرديا (المسرح، الرسم، النحت، الصورة، الموسيقى، الرقص، السينما...). وبهذا فلا وجود لمضامين سردية -حسب جينات- وإنما يوجد سلسلة من الأحداث والوقائع المتتابعة والقبالة لأي تمثيل صيغي (السرد أو العرض).

-Voir, (Genette) Gérard, Nouveau discours du récit, p. 12, 13.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى المفهوم الذي وضعه "رولان بارت" للمحكي Récit الذي يرى بأنه عالم متشعب ومتنوع ومتعدد وغير محدود، بحيث يتجلى في مختلف الخطابات الأدبية وغير الأدبية. يقول: "إن أنواع المحكي في العالم لا حصر لها (...). ويمكن نقلها عن طريق العديد من أشكال اللغة، المنطوقة والمكتوبة،

الصور الثابتة والمتحركة، والإيماء، أو أي خليط منظم من كل هذه الأشكال. فالمحكي حاضر في الأسطورة والخرافة، وفي الحكاية على لسان الحيوان، والأقصوصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والكوميديا، والبانطوميم [فن التمثيل الإيمائي] واللوح المرسومة (...) والنقش على الزجاج، والسينما والرسوم الكاريكاتورية والخبر الصحفي والمحادثة. وفضلا عن هذه الأشكال اللانهائية تقريبا، فإن المحكي حاضر في كل الأزمنة، وفي كل الأمكنة، وفي كل المجتمعات... إنه موجود تماما مثل الحياة".

-Barthes (Roland), introduction à l'analyse structureale des récits, in communications n° 8, p. 07.

⁴⁰: ينظر، يقطين (سعيد)، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبثير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص. 40.

⁴¹: مصطفى (منصوري)، المسارات المنهجية لسرديات جينات، مجلة السرديات، دورية محكمة تصدر عن مخبر السرد العربي، جامعة منتوري قسنطينة، العددان، 4، 5، 2010، 2011، ص. 21.

⁴²: جينات (جيرار)، عودة إلى خطاب الحكاية، تر، معتصم (محمد)، وآخران، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص. 17.

⁴³: ينظر، مصطفى (منصوري)، المسارات المنهجية لسرديات جينات، السرديات، ع4، 5، ص. 23.

*: مثل اهتمامه بالمتعاليات النصية، فهو من خلال ذلك يسير في فلك الاتجاه الصبغي الذي اختطه للسرديات منذ دراساته الأولى؛ أي الاهتمام بطرائق عرض خطاب المحكي وأنماطه، ومختلف الخصائص التعبيرية والجمالية المميزة له.

قائمة المراجع:

-المؤلفات:

-باختين (ميخائيل)، (1988)، الكلمة في الرواية، تر، حلاق (يوسف)، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، سوريا.

-باختين (ميخائيل)، (1987)، الخطاب الروائي، تر، برادة (محمد)، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.

-باختين (ميخائيل)، (1986) شعرية دستوفسكي، تر، جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد.

-تزفتان (تودوروف)، (1976)، نقد النقد، تر، سامي سويدان، مركز الإنماء القومي، ط1، بيروت، لبنان.
-تزفتان (تودوروف)، (1996)، ميخائيل باختين، المبدأ الحوارية، تر، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، لبنان.

-جينات (جيرار)، (2000)، عودة إلى خطاب الحكاية، تر، معتصم (محمد)، وآخران، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب.

- خليل (إبراهيم)، (2010)، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، لبنان.
- العمامي (نجيب)، (2010)، الوصف في النص السردى بين النظرية والإجراء، دار محمد علي للنشر، صفاقص، ط1، تونس.
- الخبو (محمد)، (2003)، الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقص، ط1، تونس.
- عيلان (عمر)، (2008)، في مناهج تحليل الخطاب السردى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
- يقطين (سعيد)، (2005)، تحليل الخطاب الروائي، الزمن، السرد، التبئير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، ط4، لبنان.

-Barthes (Roland), S/Z, édition du seuil, Paris, 1970.

-Benveniste (Emile), Problèmes de Linguistique générale, éd, Gallimard, 1966, Tomel.

-Ducrot (Oswald), Schaeffer (Jean-Marie), Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd, Seuil, Paris, 1995.

-(Genette) Gérard, Figures II, éd, Seuil, Paris, 1969.

-Figures III, éd, Seuil, Paris, 1972, Cérès éditions, Tunis, 1996.

-Nouveau discours du récit, éd, Seuil, Paris, 1983.

-Narratologie N°2, Les frontières du récit, Publications de la faculté des lettres arts et sciences humaines, université de Nice, Paris, Avril, 1999.

-الأطروحات:

- بوشفرة (نادية)، علم السرديات في النقد الفرنسي، (مخطوط)، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السّانية، وهران، 2005، 2006.

-المقالات:

- الخضراوي (إدريس)، (2007)، النقد الروائي وإشكالية اللغة الروائية، مجلة العلوم الإنسانية، دورية محكمة، تصدر عن كلية الآداب جامعة البحرين، ع15.
- الخضراوي (إدريس)، (2008)، السرديات أو تحولات الوعي بالخطاب الأدبي، مجلة ثقافات، مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات الثقافية، تصدرها كلية الآداب بجامعة البحرين، ع21.
- الزهراني (معجب)، (2000)، نحو التلقي الحوارى، مقاربة لأشكال تلقي كتابات ميخائيل باختين في السياق العربى، مجلة العلوم الإنسانية، دورية محكمة، تصدر عن كلية الآداب، جامعة البحرين، ع3.
- مصطفى (منصوري)، (2010، 2011)، المسارات المنهجية لسرديات جينات، مجلة السرديات، دورية محكمة تصدر عن مخبر السرد العربى، جامعة منتوري قسنطينة، العددان، 4، 5.

-Barthes (Roland), introduction à l'analyse structurale des récits, in : communications n° 8, Seuil, Paris, 1966.

-Tzvetan (Todorov), les catégories du récit littéraire, in : communications n° 8.

-(Genette) Gérard, Frontières du récit, in L'analyse structurale du récit, communications n° 8, 1966.